يا سعود الفنيسان

تـــــويـــتـــر أوردك الـمـــــوارد!

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء: ٣٦] ويقول عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ* إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٦ - ١٨]

وصح عن النبيﷺ أنه قال لمعاذ رضي الله عنه: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: كف عليك هذا - وأشار إلى لسانه - قلت: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: ثكلتك أمك معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال: على مناخرهم - إلا حصائد ألسنتهم؟**».

ولا يزال المرء في فسحة من دينه، وسلامة في عقله، حتى يعمل أو يتكلم، فيزنه الفقهاء بموازين النقل، وتعرفه الرجال بدلائل العقل، وإنني -كغيري- أتابعه في كثيرٍ من ظهوره الإعلامي، ويحزن القلب أن يتجاوز الرجل عتبات السبعين من عمره وهو في طيشِ عقلٍ، وانفلاتِ لسان! وهو في مثل عمره في إقبال على الآخرة وإدبارٍ عن الدنيا جدير بالميل للعبادة، والاستئناس بأخبار السلف وآثارهم، لما يحصل في تلك المرحلة من العمر من كثرة محاسبة النفس ومراجعاتها، ولذا كم أنشد الكثير من أرباب الكلام والمقالات الفاسدة من أشعار الندم والتوبة في آخر حياتهم، ودوِّنت عنهم مقالات الأسف على ما فات من أعمارهم من الاشتغال عن الوحيين، وإهمال طرائق السالفين، ورأوا السلامة كل السلامة في دين العجائز وعامة الناس، المعلوم بسلامة القلب،

وبساطة الحال، مع موافقة الفطرة، ومحبة الخير للناس، وسرعة الاستجابة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، والثقة بالعلماء ومحبتهم والرجوع إليهم.

ولكن المؤسف أن الشيخ الفنيسان في كلّ يومٍ تصدر منه مقالةٌ سوء تمجها الأسماع، ويرفضها سليم الطباع، مع ما يشينها من (**سقم العبارة**) التي لا تليق بمن هو في مثل عمره! و(**ضعف الحجة**) التي يرتفع عنها من هو في مثله مؤهله العلمي!

ومن قبيح أصول الفنيسان: هدم كل ما يخالف هواه وردّه بغير حجة علمية، ولا طريقة سوية! وخاصة في مسائل (الإمامة وحقوقها).

[**مثال١**] فلحربه مع السلفيين أنكر هذه النسبة، وتكلم بما ينكره من لديه أدنى مسكة عقل وعلمٍ بنقل! (http://badralitammi.blogspot.com/2013/02/37_22.html).

[**مثال٢**] ولإنكاره مبدأ نصيحة السلطان بالسر تجرأ على حديث رسول اللهﷺ من قولهﷺ: «**مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذى سُلْطَانٍ عَامٍّ فَلا يُبْدِ لَهُ علانية، وَلَكِنْ لِيَخْلُ به، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِى عَلَيْهِ**».

وضعفه الفنيسان بلا حجة معتبرة عند أهل النقد، ومرد ذلك كله إلى الهوى لا غير، والحديث رواه الإمام أحمد وغيره، وسألت عنه شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى فقال: «إسناده جيد».

ولو ضعَّف الحديث فإنه لا ينقض أصله الشرعي الثابت بنصوص الوحيين في طريقة النصيحة، وخاصة السلطان، وروى الإمام أحمد رحمه الله في " المسند " (٤/ ٣٨٣) : أن سعيد بن جمهان تلكم في السلطان فغمزه عبدالله بن أبي أوفىرضي الله عنه ثم قال : «ويحك يابن جمهان! عليك بالسواد الأعظم، **إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم،**

فإن قبل منك وإلاّ فدعه، فإنك لست بأعلم منه» ورواه الطبراني أيضاً ، قال الهيثمي في المجمع : «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات».

وفي "الصحيحين" أن أناساً انتقدوا على أسامة بن زيد رضي الله عنهما وقالوا له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال : «أترون أنّي لا أكلمه إلاّ أسمعكم؟ والله لقد كلمته **فيما بيني وبينه** ما دون أن أفتح أمراً لا أحبّ أن أكون أول من فتحه».

وروي عن عمر بن الخطابﷺ أنه قال : «أيّها الرعية لنا عليكم حقاً **النصيحة بالغيب**، والمعاونة على الخير».

وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن كيفية أمر السلطان بالمعروف ونهيه عن المنكر ؟ ، فقال : «إن كنت فاعلاً ولا بُدّ ففيما **بينك وبينه**».

ذكر ذلك ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ثم قال : «كان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد **وعظوه سرّاً**» .

والنصيحة بالمجاهرة أمام الناس فسادها عظيم وخطرها وخيم ، قال شيخنا ابن باز رحمه الله وجعل الجنة مثواه – : « .. ولمّا فتحوا الشر في زمن عثمان ﷺ، وأنكروا على عثمان جهرة تمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم ، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وقتل عثمان بأسباب ذلك ، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني وذكر العيوب علناً حتى أبغض الناس ولي أمرهم وقتلوه نسأل الله العافية».

ويشهد لمقال شيخنا يرحمه الله ما ذكره ابن سعد في "الطبقات الكبرى" (٦/ ١٧٠) عن عبدالله بن عكيم رحمه الله، أنه قال : «لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان ﷺ!» فقالوا له: يا أبا معبد أوَ أعنت على دمه؟! فقال: «إنّي أعدّ مساويه عوناً على دمه».

وروى البخاري في "التاريخ الكبير" (٤/ ٢/ ١٠٤) عن أبي جمرة قال: لما بلغني تحريق البيت خرجت إلى مكة، واختلفت إلى ابن عباس حتى عرفني واستأنس بي فسببت الحجاج عند ابن عباس فقال: «لا تكن عونا للشيطان».

فالفنيسان بسبب أساسه الهش الهزيل في حقوق الولاية، وطريقة النصح والإنكار أصبح سريع التجاسر على رفض كل ما ومن يخالف مذهبه، ومن ذلك ما صدر منه مؤخراً من كلمات مشينة على حسابه في برنامج تويتر تطاول فيها على الإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري (ت٣٢٩هـ) رحمه الله تعالى، وهذا لعمري من علامات آخر الزمان، وغربة الإيمان والله المستعان، وقد جاء في الحديث عند الحارث بن أبي أسامة وغيره عن النبيﷺ أنه ذكر من أخبار آخر الزمان: «**أن يلعن آخر هذه الأمة أولها**» والمراد مطلق الذم والاستهجان، وهذا واقع اليوم من كثير من الطوائف كالليبراليين والإخوان المفلسين وأمثالهم، وجرأتهم على عقائد السلف وأصولهم بالرد والاستهجان حين يخالف أهواءهم.

وسيرى القارئ الكريم فيما يأتي موجب جرأة الفنيسان على هذا الإمام، من خلال الوقفات التالية مع كلامه:

الوقفة الأولى:

قال الفنيسان: «**الشيخ البربهاري رحمه الله محتسب غيور شديد على المبتدعة، لكن شدته تلك جعلته يغلو برأيه كثيراً، وثناء المترجمين عليه لاحتسابه لا لفقهه وعلمه**».

قلت: هذا كلام من لم يعرف الإمام البربهاري، من وجهين:

الوجه الأول: أن الغلو عن البربهاري بعيدٌ والحمد لله، وهو من أئمة أهل السنة المحذرين من الغلو وأهله، ولا يعرف عنه رحمه الله مسألةٌ خرج به عن كلام السلف

الصالح، حتى مسألة الإقعاد على العرش والتي اشتهر بها واشتهرت به! لم يكن هو المنفرد بها فقد سبقه على ذلك خلق كثير، من التابعين ومن جاء بعدهم، فليأتِ الشيخ الفنيسان عن البربهاري ببرهان ذلك وإثبات أنه يغلو (**كثيراً!!**) وإلا فهذا من عين البهتان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الوجه الثاني: أن الإمام البربهاري ترجمته حافلة، وهو إمامٌ في الحسبة **والفقه** والزهد والسنة، وقد أثنى عليه بذلك جمعٌ من المحققين:

[١] قال ابن أبي يعلى في "طبقاته" (٢/ ١٨) : «**شيخ الطائفة** –أي الحنابلة!– في وقته، **ومتقدمها** في الإنكار على أهل البدع ... وكان أحد الأئمة العارفين، **والحفاظ للأصول المتقنين**، والثقات المؤمنين».

وهذا نص على إمامته على فقهاء الحنابلة في عصره، وحفظه للأصول، فكيف لا يكون فقيها عالما؟!

[٢] وقال ابن الجوزي في "المنتظم" (١٤/ ١٤): «**جمع العلم، والزهد**».

والفنيسان يقول: لم يُعرف بالعلم!

[٣] وحلّاه ابن الأثير في "الكامل" (٧/ ١٠٠) بـ: «**رئيس** الحنابلة».

[٤] وقال الحافظ ابن كثير في "البداية" (١١/ ٢٢٧) : «العالم الزاهد **الفقيه الحنبلي** الواعظ.. وكان كبير القدر **تعظمه الخاصة** –أي العلماء– والعامة».

وهذا نصٌ على علو مرتبته عند خاصة العلماء؟ بل وعامة أهل عصره! ثم يأتي أكاديمي زماننا ويطعن فيه وينتقص علمه لمخالفته لهواه!

[٥] وقال الذهبي في "السير" (١٥/ ٩٠) : «**شيخ الحنابلة** القدوة الإمام ... الفقيه».

وهذا ينقض فرية الفنيسان، ويكشف مبلغ الهوى إن كان قرأ كتب المترجمين!!

[٦] وقال الذهبي أيضاً في "العبر" (٢/ ٣٣): «الفقيه القدوة **شيخ الحنابلة** بالعراق، قالاً وحالاً وحلالاً، وكان له صيت عظيمٍ، **وحرمة تامة**».

له حرمة تامة عند من عرف قدره ولكن الفنيسان –وللأسف– لم يعرف قدره، ولم يحفظ حرمته! لأنه لم يعرف كتب السلف ولا أئمتهم.

[٧] وقال الذهبي أيضاً في "تاريخ الإسلام" (٢٤/ ٢٥٨): «**شيخ الحنابلة** بالعراق. وكان شديداً على المبتدعة، له صيت عند السلطان وجلالة، **وكان عارفا بالمذهب أصولا وفروعا**».

والفنيسان يقول بأن المترجمين لم يصفوه بالفقه؟ ألا قاتل الله الهوى!

[٨] وقال ابن مفلح في "الفروع" (٣/ ٢٦٩) : «من متقدمي **أصحابنا**».

أي الحنابلة! والفنيسان يقول ليس فقيهاً!

[٩] ومثل قول ابن مفلح قال ابن رجب الحنبلي في "شرح البخاري" (٥/ ١٣٥).

فهذه منزلة البربهاري عند من يعرف العلم وأهله، ومع ذلك يقع الفنيسان في بليتين:

[١] الطعن في البربهاري.

[٢] والكذب على المترجمين!

وكلاهما فادحة فاضحة، والله المستعان.

الوقفة الثانية:

قال الفنيسان: «**الشيخ البربهاري رحمه الله في كتابه شرح السنة ص١٠١ : (من ترك من السنة شيئاً فقد ترك السنة كلها) وهذا يستلزم التكفير بالمعصية ويخالف مذهب السلف**».

فيقال: وهذا فيه اتهام للإمام البربهاري بمقالة الخوارج، وسيأتي اتهام من أخذ بقوله بمذهب المرجئة! مما يدل على أنه يهرف بما لا يعرف، ويخبط خبط العشواء!

أما قول الإمام المذكور، فيقول قبله: «**فإنه من انتحل شيئا خلاف ما في هذا الكتاب، فإنه ليس يدين لله بدين، وقد رده كله، كما لو أن عبدا آمن بجميع ما قال الله تبارك وتعالى، إلا أنه شك في حرف فقد رد جميع ما قال الله تعالى، وهو كافر، كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية وخالص اليقين، كذلك لا يقبل الله شيئاً من السنة في ترك بعض، ومن ترك من السنة شيئا فقد ترك السنة كلها، فعليك بالقبول**».

فقصد الإمام بالترك واضح، وهو (الرد والمعارضة والجحود) المناقض لمعنى (القبول) وهو ركن في التوحيد والسنة، وليس هذا من قول الخوارج في شيء، والبربهاري أخذ هذا من كلام السلف لأنه رجلٌ سلفي! فقد روى عبد الرزاق في "المصنف" (٤٢٨١)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١/ ٤٢٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٤١٧) وأبو نعيم في "الحلية" (٧/ ٧/ ١٨٥ ـ ١٨٦) ورواه الإمام ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"(٢/ ١٩٥) عن صفوان بن محرز القارئ المأزري أنه سأل عبد الله ابن عمر عن الصلاة في السفر، فقال: «**ركعتان، من خالف السنة كفر**».

وذكره الإمام ابن بطة في "الإبانة الصغرى" (ص١٢٣) بلفظ: «**من ترك السنة كفر**» .

فهذا قولهﷺ في سنة واحدة وهي قصر الصلاة في السفر، وقال ما قال! فهل هذا تكفير بالمعصية؟

الوقفة الثالثة:

قال الفنيسان: «**يقول البربهاري عن كتابه شرح السنة ص١٠٠ : (من استحل شيئاً خلاف ما في هذا الكتاب شرح السنة فليس يدين لله، بل يجب التسليم والتفويض والرضا بما فيه)**..».

فيقال: هذا من التهويل، فالبربهاري لم يقل هذا لأنه كتابه! ولكن لأن كتابه كما ذكر مبني على الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح، فلهذا الأصل وجب قبول كل ما فيه، فقال قبل هذا الكلام الذي نقله الفنيسان: «**وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب، فهو عن الله، وعن رسول الله ﷺ، وعن أصحابه وعن التابعين، والقرن الثالث إلى القرن الرابع، فاتق الله يا عبد الله، وعليك بالتصديق والتسليم والتفويض والرضى لما في هذا الكتاب**».

فموجب هذا الكلام لأن ما فيه هو تحقيق مراد الله ومراد رسولهﷺ وكلام السلف الصالح، ثم بعد ذلك يأتي نظرٌ آخر، وهو: هل يوفَّق العالم إلى الوقوف على مراد الله ومراد رسولهﷺ في كل ما يقول؟ هذا باب آخر، فقد يصيب وقد يخطئ، وكذلك البربهاري، هناك فيما يرى أن ما ذكره في كتابه من أصول أنه موافق لمراد الله ومراد رسولهﷺ وكلام السلف الصالح، ثم بعد ذلك تكون المسائل على قسمين:

[١] أصلية قطعية لا خلاف فيها، وقوله صواب قطعاً.

[٢] فرعية اجتهادية، بلغ به علمه إلى ما قال، وقد يخالفه فيها غيرُه، وهذا لا ضير فيها ولا نكير، وإن رآها هو أنها مراد الله ومراد رسولهﷺ.

فجملة القول: ليس في هذا القول غلوٌ من الإمام البربهاري ولا ما ينقص به عن رتبة العلم والفقه حتى يحسر الفنيسان عن ذراعي التهور فينتقده على رؤوس الأشهاد؟

الوقفة الرابعة:

قال الفنيسان: «**ومن عدم فقهه قوله ص٨٦: (واعلم أن أول من ينظر إلى الله في الجنة الأضراء ثم الرجال ثم النساء) ولا يصح بترتيب أولوية النظر للرب شيء**».

فيقال: ربْطُ القول المنقول بالفقه وعدمه يدل على أن الفنيسان لا يميز بين الفقه وبين ما يقتضيه الحال! ومثل هذا لا مجال للفقه فيه، ومحله محل العلم بالعلل ونقد الأسانيد والأخبار، وهذا بحر عظيم يختلف العلم في بعد الغوص فيه ومعرفة أسراره، ولا تثريب على من وقف على ما انتهى إليه علمه، ولا أدري أقال الفنيسان: «**لا يصح شيءٌ**» بناء على قول عالمٍ أم على بحث ونظرٍ منه أم مجرد التخرص؟ وعلى كلّ تقدير فلعل البربهاري وقف على ما لم يبلغنا، ومع ذلك فليست العبرة بقوله، وإنما بالخبر الثابت، ولم أجد في الباب إلا أثراً مروياً عن الحسن البصري رحمه الله عند اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣/ ٥٧٨) تحت باب: **في أن أول من ينظر إلى الله العميان**، ثم قال: ذكره عبدالرحمن ثنا محمد بن عبد الملك الواسطي قال: ثنا عفيرة بنت واقف قالت: حميدة حدثتني - تعني بنت ثابت البناني- قالت: أحدثكم حديثا ليس بيني وبين رسول الله ﷺ إلا رجلين أحدهما أبي، كان أنس، وأبو ظلال في بيت ثابت، فقال أنس: يا أبا ظلال متى فقدت بصرك؟ قال: وأنا صبي لا أعقل، قال: فهل أحدثك حديثا حدثنيه رسول الله ﷺ يرويه عن جبريل، وجبريل يرويه عن ربه ، قال: يا جبريل ما جزاء من سلبت كريمتيه؟ قال: ﴿**سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا**﴾ [البقرة: ٣٢]، قال: «**جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي**».

ذكره عبد الرحمن قال: ثنا أبي قال: نا محمد بن حاتم المؤدب، قال: حدثت عن أبي الأشهب، عن الحسن قال: «أول من ينظر إلى وجه الرب تبارك وتعالى الأعمى».

ورواه الطبراني في الأوسط (٨/ ٣٥٤) والبيهقي في الشعب (١٢/ ٣٣٩) والدولابي في الكنى (١١٥٠) من طريقٍ أخرى بأن أبا ظلال القسملي دخل على أنس بن مالك، فقال له: يا أبا ظلال، متى أصيب بصرك؟ قال: لا أعقله. قال: أفلا أحدثك حديثا حدثنا به

نبي الله ﷺ، عن جبريل عليه السلام، عن ربه تعالى؟ قال: «**إن الله قال: يا جبريل، ما ثواب عبدي إذا أخذت كريمتيه إلا النظر إلى وجهي، والجوار في داري**» ، ولقد رأيت أصحاب النبي ﷺ يبكون حوله، يريدون أن تذهب أبصارهم.

وإسناده واهٍ وفي متنه نكارة ومخالفة للأحاديث الصحيحة من ذكر ثواب الجنة من غير ذكر النظر إلى وجه الله تعالى.

فلعل هذا الخبر هو عمدة البربهاري في قوله ولم يتبين له ضعفه، وهذا من مسائل البحث والنظر، ومواطن اختلاف العلماء فيها، وكم من عالمٍ قرر حكماً فقهياً بل أصلاً عقدياً على حديثٍ يرى ثبوته وهو عند غيره من الضعاف المنكرة، ومثل هذا لا يوجب انتقاصاً لرتبة العالم إلا إذا استفحل هذا منه في الاعتماد على الموضوعات المنكرة، فإن هذا يشينه وينقص من شأنه بين أهل الشأن.

فمثل هذا القول السابق الذكر لا يُنقص من رتبة البربهاري ولا اللالكائي، ولا يبيح لعاقل أن يتجرأ عليه وعلى مثله بالانتقاص والعيب.

الوقفة الخامسة:

يقول الفنيسان: «**ويقول أيضاً في كتابه ص٦٢: (اعلم أنه ليس في السنة قياس ولا يضرب لها الأمثال، بل تتبع لا شرح ولا كيف) ألا يدري أن النبيﷺ قد قاس وضرب وشرح**».

فيقال: هذا تعقيب من لم يعرف للعلم رائحة، ولا يدري ما القياس المقرر، والقياس المنكر، ولا أدري لو عُرض على الفنيسان:

ما رواه الديلمي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**لا تقيسوا الدين لا يقاس وأول من قاس إبليس**».

وما رواه ابن جرير عن الحسن: «**قَاس إِبْلِيس وَهُوَ أول من قَاس**».

وما رواه ابن أبي شيبة والدارمي وغيرهما عن ابن سيرين: «**أول من قاس إبليس وإنما عبدت الشمس والقمر بالمقاييس**».

وقول الأمام أحمد رحمه الله: «**أكثر ما يخطى الناس من جهة التأويل والقياس**».

بل ما رأيه فيما قاله الإمام أحمد أيضاً بلفظٍ قريبٍ من لفظ الإمام البربهاري، حيث قال في رسالته التي يقرأها صغار الطلاب المسماة بـ"أصول السنة" (ص: ١٦): «والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن **وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول**».

ماذا سيقول؟

فمراد الأئمة من القياس المنفي هو القياس العقلي المنبوذ، الذي تُعطل به الأصول والأحكام، ويُستحدث ما لم يأذن به الله تعالى بمحض العقل وأقيسته!

وقد نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية في عددٍ من مؤلفاته منها "درء تعارض العقل والنقل" وكذلك الإمام ابن القيم ومنها في الصواعق المرسلة من أكثر من ثلاثين وجهاً.

وأنشد في "النونية" (ص: ٢٦٦):

أو قلتم قسنا عليه نظيره ... فقياسكم نوعان مختلفان

نوع يخالف نصه فهو المحا ... ل وذاك عند الله ذو بطلان

وكلامنا فيه وليس كلامنا ... في غيره أعني القياس الثاني

ما لا يخالف نصه فالناس قد ... عملوا به في سائر الأزمان

لكنه عند الضرورة لا يصار ... إليه إلا بعد ذا الفقدان

هذا جواب الشافعي لأحمد ... لله درك من إمام زمانِ

فالقياس قياسان:

قياس مشروع، وقياس ممنوع؛ والمشروع المبني على (أصلٍ شرعي) وهو الذي ظن الفنيسان أن البربهاري ينكره! وأما الممنوع فهو المبني على أصلٍ عقلي ناقصٍ تُهدم به الأصول وتستحدث به البدع، كما قاس إبليس وقال: ﴿**خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢].

الوقفة السادسة:

قال الفنيسان: «**وأعجب مرجئة العصر! بالبربهاري وكتابه لقوله ص١٠٧: (جور السلاطين لا ينقص فريضة لله، وظلمهم وجورهم على أنفسهم) كيف وجورهم ابتداع، وظلمهم أشد!**».

يقال: هذا من سقيم القول، ومرجئة العصر مصطلح له لا يريد به إلا عيب السنة وأهلها على أصله المخالف! في الموقف الشرعي من ولاة الجور! فلم يخرج البربهاري في كتابه هذا عن قول أهل السنة قيد أنملة! ومن ينبزهم بمرجئة العصر لم يكن منتهى إعجابهم قول البربهاري فقط!

بل يعجبهم: قول عبادة بن الصامت ﷺ قال: «**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط، والمكره وعلى أثرة علينا، وعلى ألا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم. وفي رواية بمعناه، وفيه «ولا ننازع الأمر أهله»** متفق عليه.

ومعنى أثرة أي يستأثرون بأنفسهم بالمال!

ويعجبهم: قول عبد الله بن مسعود ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون بعدي أثرة، وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله، كيف تأمر من أدرك ذلك منا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم»** أخرجه البخاري، ومسلم.

ويعجبهم: قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع، ولا طاعة**» أخرجه الجماعة.

وتأمل قولهﷺ: أو كره!

ويعجبهم: قول أبي هريرة ﷺ: قال: قال رسول اللهﷺ : «**عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك**» أخرجه مسلم.

ويعجبهم: قول أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه يستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**» ، **قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»** أي: من كره بقلبه، وأنكر بقلبه، كذا عند مسلم.

ويعجبهم: قول عبد الله بن عباس – رضي الله عنهما –: أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية» .

ويعجبهم: قول الإمام أحمد في "أصول السنة" : «والسمع وَالطَّاعَة للأئمة وأمير الْمُؤمنِينَ الْبر **والفاجر** وَمن ولي الْخلَافَة وَاجْتمعَ النَّاس عَلَيْهِ وَرَضوا بِهِ وَمن غلَبهم بِالسَّيْفِ حَتَّى صَار خَليفَة وَسمي أَمِير الْمُؤمنِينَ، والغزو مَاض مَعَ الإِمَام إِلَى يَوْم الْقِيَامَة الْبر **والفاجر** لَا **يتْرك**، وَقِسْمَة الْفَيْء وَإِقَامَة الْحُدُود إِلَى الْأَئِمَّة مَاض **لَيْسَ لأحد أَن يطعن عَلَيْهِم وَلَا ينازعهم**، وَدفع الصَّدقَات إِلَيْهِم جَائِزَة نَافِذَة من دَفعهَا إِلَيْهِم أَجْزَأت عَنهُ برا كَانَ أَو **فَاجِرًا**، وَصَلَاة الْجُمُعَة خَلفه وَخلف من ولاه جَائِزَة بَاقِيَة تَامَّة رَكْعَتَيْنِ من أعادهما فَهُوَ مُبْتَدع، تَارِك للآثار مُخَالف للسّنة لَيْسَ لَهُ من فضل الْجُمُعَة شَيْء إِذا لم ير الصَّلَاة خلف الْأَئِمَّة من كَانُوا برهم وفاجرهم فَالسنة بِأَن يُصَلِّي مَعَهم رَكْعَتَيْنِ وَتَدين بِأَنَّهَا تَامَّة لَا

يكن فِي صدرك من ذَلِك شَيْء، **وَمن خرج على إِمَام من أَئِمَّة الْمُسلمين وَقد كَانُوا اجْتَمعُوا عَلَيْهِ وأقروا بالخلافة بِأَيّ وَجه كَانَ بِالرِّضَا أَو الْغَلَبَة فقد شقّ هَذَا الْخَارِج عَصا الْمُسلمين وَخَالف الْآثَار عَن رَسُول الله ﷺ** فَإِن مَاتَ الْخَارِج عَلَيْهِ مَاتَ ميتَة جَاهِلِيَّة، **وَلَا يحل قتال السُّلْطَان وَلَا الْخُرُوج عَلَيْهِ لأحد من النَّاس فَمن فعل ذَلِك فَهُوَ مُبْتَدع على غير السّنة وَالطَّرِيق**».

فإن كان هذا القول من الإمام أحمد والبربهاري وما عليه صريح السنة إرجاء:

فأنعم به وأكرم من إرجاء.

إرجاء الدماء والخروج، **إرجاء** التكفير والمروق، **إرجاء** الفتنة والقتال، **إرجاء** الفرقة والشتات، **إرجاء** الشر كله وإبعاده عن الإسلام والمسلمين، الذين ينادي به أهل الخروج عن سبيل المؤمنين، ونزع اليد من الطاعة، وتأليب الناس على سلاطينهم.

فقول الفنيسان: «**كيف وجورهم ابتداع، وظلمهم أشد!** » فيه نفثة خارجية! فالجور لا يوجب نزع اليد من الطاعة ولو كان ابتداعاً، وهل بدعة القول بخلق القرآن من بدعة فُتن بها المسلمون والأئمة؟ ومع ذلك ما منهم من نزع اليد من الطاعة، ومهما بلغ من الظلم ما بلغ لا يوجب ذلك، ولموقف الأئمة من الصحابة وغيرهم من الحجاج وولايته أكبر دليل على التطبيق الصادق لسنة النبيﷺ.

فماذا لو كان الفنيسان بتدهور تهوره في تلك الأزمان؟ وهو يؤصل هذا الأصل بأن السمع والطاعة لا يشمل من بلغ جوره للابتداع، وظلمهم إلى غاية الظلم؟

في ختام هذه الورقات:

الوصية لسعود الفنيسان أن يدرك من عمره ما بقي في الإقبال على الله تعالى، والتوبة إليه، ولزوم جادة السلف، والعكوف على كتبهم، والالتزام بطريقتهم، ونبذ الهوى

وضلالات الأحزاب المحدثة البدعية التي ينافح من دونها! ولا أناديه إلى رجلٍ ولا حزبٍ ممن يذم ويخالف اليوم! وإنما أدعوه أن يقوم لله تعالى بالتوحيد، ويمتثل للنبيﷺ بلزوم السنة، ويلزم سبيل أهل السنة، ويدمن النظر في كلامهم، وسيعرف من هو على هدى، ومن هو على ضلال مبين، والسلام الكريم على جميع من نظر ورحمة الله وبركاته، ولا ينال سلام الله الضالين.

كتبه

بدر بن علي بن طامي العتيبي

يوم الجمعة ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ

الطائف